يحيى

عليه السلام

نادت الملائكة زكريا:

﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾.

وتسميته بهذا الاسم إنما هى من الله سبحانه.

أما صفاته: فإن الله سبحانه وتعالى يقول عنها:

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًّا، وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًّا، وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا، وسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾.

ويقول سبحانه:

﴿ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾.

وتقول الملائكة عن يحيى:

﴿مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين﴾.

obeikandl.com

ويقول الإمام ابن كثير:

عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك.

﴿وحنانًا من لدنا﴾. أى رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد.

وعن عكرمة: ﴿وحنانًا﴾. أى محبة عليه، ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه، وهو محبتهما والشفقة عليهما وبره بهما.

أما الزكاة فهى طهارة الخُلُق وسلامته من النقائص والرذائل، والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره.

ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمرًا ونهيًا، وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال:

﴿وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا﴾.

ثم قال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾.

هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل فى كل منها من عالم إلى عالم آخر، فيفقد الأمل بعد ما كان ألفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يدرى ما بين يديه، ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها.

وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور، وانتظر هناك النفخة فى الصور ليوم البعث والنشور، فمن مسرور، ومحبور، ومن محزون ومثبور، وما بين جبير وكسير، وفريق فى الجنة وفريق فى السعير، ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول:

ولدتك أمك باكيًا مستصرخًا والناس حولك يضحكون سرُورًا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله على يحيى فى كل موطن منها فقال:

﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾.

وقال سعيد ابن أبى عروبة، عن قتادة أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى التقيا، فقال له عيسى: استغفر لى أنت خير منى، سلمت على نفسى وسلم الله عليك، فعرف والله فضلها.

وأما قوله فى الآية الأخرى.

﴿وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين﴾.

فقيل: المراد بالحصور الذى لا يأتى النساء وقيل غير ذلك، وهو أشبه بقوله:

﴿هب لى من لدنك ذرية طيبة﴾.

وتكاد دعوة يحيى تتلخص فى الآتى:

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف، وكان يعد من البدلاء، حدثنا يحيى بن أبى كثير، عن زيد عن سلام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعرى، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن». فقال:

ياأخى إنى أخشى إن سبقتنى أن أعذب أو يخسف بى.

قال: فجمع يحيى بنى اسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله عز وجل أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، وأولاهن، أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك!! وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده مالم يلتفت ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصلاة فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال:

هل لكم أن أفتدى نفسى منكم؟ فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله عز وجل كثيرًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا فى أثره فأتى حصنا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله عز وجل.

obeikandl.com